مجلة الآداب واللغات، المجلد 25 ، العدد 02 (جوان 2025)،ص ص: 210 – 221

مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416



جمـاليـة الـتلـقي في الـترجمـة الأدبيـة

Aesthetics of Reception in Literary Translation

كهينة توات *،جامعة تيزي وزو، الجزائر.البريدالإلكتروني:kahina.touat@ummto.dz

نصيرة سي الطيب جامعة تيزي وزو، الجزائر .البريدالإلكتروني: nacera.sitayeb@univ-alger2.dz

تاريخ المقال

الإرسال: 2024-02-12 القبول: 2024-06-03 النشر: 2025-06-12

الكلمات المفتاحية

التلقي
الترجمة الادبية
ياوس
القارئ

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى التعريف بالأسس التي ترتكز عليها نظرية التلقي وتحديد مدى تأثيرها في العملية التأويلية للعمل الأدبي وكيفية استجابة القارئ للترجمة وتقييمه لها، ومن أجل ذلك، سنكشف عن المناهج التي أسهمت في ظهور هذه النظرية وتطورها. ارتبط مفهوم التلقي بالمدرسة الألمانية وبالتحديد بياوس الذي أتى بمفهوم جديد يعتبر بمثابة منعطف حاسم في تاريخ الأدب، بحيث كان أول من أولى عناية خاصة للقارئ، مع الإشارة إلى أن النظريات التي سبقته سواء النسقية منها أو السياقية كانت تقتصر في اهتمامها سواء على الكاتب أو على الأثر الأدبي، وتبيّن لنا في ختام البحث أن العملية التأويلية مرحلة بارزة في مسار ترجمة النص الأدبي الذي يفتح المجال لتأويلات وقراءات لامتناهية، والمترجم بصفته قارئا يدرك المعاني المستترة والمسكوت عنها بربط خلفيته المعرفية والثقافية بما يوحي به النص الذي بين يديه.

Abstract

This research paper seeks to define the principles underlying reception theory, highlight its impact on the interpretive process of literary work and show how the reader reacts to and assesses the translation. For this purpose, we will uncover the methods that have contributed to the emergence and development of this theory. Reception, as a recent concept, is linked to the German School, precisely, JAUSS who has come up with a new concept that is considered as a critical juncture in the history of literature, since he was the first to give special attention to the reader, as prior theories, whether system theories or contextual ones, confined their interest on the

Keywords

Reception
Literary translation
JAUSS
Reader

* المؤلف المرسل

writer and the literary effect. Our research findings revealed that the interpretive act is a significant milestone in the process of translating a literary text that gives rise to endless interpretations and readings. Moreover, the translator as reader perceives the implied meanings by connecting his cultural and cognitive backgrounds to what is suggested by the text in hand.

1. مقدمة:

لقد كان اهتمام الدراسات الترجمية منصبا في بداياتها على إشكالية نقل البعد اللغوي للنص المترجم وكانت تكتفي بالمقارنة بين النص الأصل وترجمته بغية معرفة مدى تطابقهما، غير أنه مع التطورات التي شهدها مجال الترجمة، انصرف الاهتمام إلى المسار الترجمي والمترجم، وكذا جمالية الترجمة وتلقيها من قبل القارئ المستقبل. ولقد منحت نظرية التلقي القارئ حقه من العناية والاهتمام، كونه العنصر الأساس في العملية التأويلية للنص الأدبي، ذلك أنه هو الذي يملئ الفجوات والفراغات التي تركها المؤلف بين ثنايا نصه ويرفع النقاب عن المعاني الضمنية المستترة. وتتمثل إشكالية بحثنا في معرفة دور نظرية التلقي في العملية التأويلية للنص وتأثيرها في مسار ترجمته ومعرفة مدى أمانة المتلقي الأول أي المترجم في نقل الأثر الأدبي لمتلقين آخرين.

سنقتصر في بحثنا هذا الموسوم بـ: " جمالية التلقي في الترجمة الأدبية" على دراسة جماليات التلقي في النص الأدبي، بمعنى أن الكاتب الأصلي باعتباره مبدعا من الدرجة الأولى يقوم بصوغ تجربته الكتابية استنادا إلى خياله وروحه الإبداعية، وهو بذلك ينظر إلى الحقائق بطريقة أدبية ويعبر عنها بإبداع، فكيف يمكن للمترجم باعتباره قارئا(متلق أول) من الدرجة الأولى أن يترجم جماليات النص الأصلي مع مراعاة قصدية الكاتب ؟ أوليست الخيانة حاضرة أينما حل المترجم؟

1. التأويل في النص الأدبي وهاجس الخيانة

مما لا شك فيه أن النص الأدبي يفتح المجال لتأويلات عدة تختلف باختلاف الخلفية الثقافية للقراء ومستواهم التعليمي وتجاربهم ومعتقداتهم وما إلى ذلك، وقد تُثرى معانيه ويتجسد أثره في المجتمع المستقبل من خلال قراءات المتلقي له، فتأويلات القراء هي التي تدب الحياة فيه، يقول إيكو (تر. ماصر الحلواني، 2009: 174) في سياق مماثل ما يلي:

"لقد تحديت عبارة فاليري والتي بحسبها "لا يوجد معنى حقيقي للنص il n'y a pas de vrai sens d'un texte" ولكنني أقبل العبارة التي تذكر أنه يمكن للنص أن يحوز معاني مختلفة. إنني أرفض العبارة التي ترى أنه يمكن للنص أن يتضمن كل المعاني".

وتضم عملية تأويل النص في نظر إيكو (م.ن: 177) ثلاثة عناصر وهي تجليه الخطي والقارئ الذي يقرأ من منظور أفق التوقعات والموسوعة الثقافية. فالقارئ يؤول النص باستحضار معارفه اللغوية والموسوعية مع ربطها بالنص الذي بين يديه، فهذه التفاعلات بين القارئ والنص هي التي تسمح بملأ الفراغات التي تركها المؤلف عن قصد وتجسّد جمالية النص، فمعنى الأخير لا يتكمل إلا بقراءة المتلقي له.

كما قد يؤول القارئ النص استنادا إلى تأويلات سابقة لنصوص مماثلة، وهناك نصوص تحتمل قراءات لا متناهية، الأمر الذي يطرح إشكالا عويصا على المترجم، فقد تتعارض تأويلاته مع مقاصد المؤلف التي تبقى خيالية غير قابلة أحيانا للاختراق.

فضلا عن ذلك، بات من المعروف أن الترجمة ومنذ بداياتها كانت مرتبطة بعنصر الخيانة والدليل على ذلك العبارة الشهيرة " traduttoretraditore بمعنى "المترجم خائن" .ولعل هذه المقولة أتاحت تكريس صفة الخيانة ووصم المترجم بها .مع العلم أن الأخير مهما كان محنكا ومتمكنا من اللغات إلا أن هذه اللغات بحد ذاتها تطرح إشكالية عدم التكافؤ المطلق، فلكل لغة عبقريتها

وخصائصها تجعلها تعبر عن الحقائق أو تنظر إلى العالم نظرة مختلفة ومنفردة.

من المهم بمكان الإشارة إلى أن هاجس الخيانة يلاحق المترجم على مستويات عدة وهذا ما يؤكده الأستاذ خروب محند أويحي (2009 : 69) ففي الدرجة الأولى من الخيانة، يقبع الكاتب بأفكاره وخلجات نفسه يقترف الخيانة الأولى لما يكون بصدد تحويل ما بجعبته للغة مكتوبة، ويأتي المترجم ليقرأ النص الإبداعي المكتوب بلغة تعج بالجماليات الأسلوبية والضمنيات، فيحاول فك شفرة المكتوب فيرتكب الخيانة الثانية، والطامة الكبرى أنه سيقوم بنقل ما فهمه وأوّله استنادا إلى ما عاشه وثقافته ومعتقداته إلى القارئ الذي لا يتقن اللغة الأصل، مما يجعله رهينة للمترجم، فيكتفي بالترجمة التي تعد خيانة للأصل. أما المستوى الثالث من الخيانة، فيتم على مستوى القارئ من الدرجة الثانية أي قارئ الترجمة حيث يفهم هو بدوره النص في حلته الجديدة حسب معارفه الشخصية وتجاربه وثقافته، وبهذا يكون النص الأصل قد طاله التشويه والتغيير قبل أن يصل للقارئ في اللغة المنقول إليها.

ويمكن الحد من وطأة هذه الخيانة على العملية الترجمية إذا تم التحكم في عملية التأويل ،كيف لا وهي لب وأساس الترجمة القائمة على فهم النص أولا وقبل كل شيء.وجدير بالذكر أن عملية التأويل هذه هي عملية شخصية بحتة لكونها تستند إلى جملة من العوامل المرتبطة بالمتلقي باعتبارها فردا ،فكل منا يفهم نصا ما بالعودة إلى خبراته الحياتية وخلفيته الدينية والثقافية.نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يحدث حاليا في غزة من مجازر وجرائم إنسانية لا يمكن لأي قارئ أن يحسن فهم وتأويل تلك الأحداث المأساوية إلا إذا كان متضامنا مع فلسطين وهذا ما نستشفه من خلال توظيف البلدان المؤيدة لها مصطلحات تنم عن التضامن معها كالقول مثلا المجاهدين الفلسطينيين أو الشهداء الفلسطينيين .وفي الوقت ذاته نجد القنوات الفرنسية والأمريكية توظف مصطلحات أخرى مثل الإرهاب أو الجماعات المسلحة.

وفي معرض حديثه عن عملية الترجمة يرى جورج ستاينر أن الترجمة هي عملية قائمة على الفهم (1978 : 15) والفهم بطبيعة الحال قائم على التأويل ,والإشكال المطروح هو عدم إمكانية غلق أبواب التأويلات المختلفة للنص الأدبي مما يعني أننا نفتح الأبواب على ترجمات عديدة وهذا ربما ما يفسر اختلاف وتنوع الترجمات نحو لغة واحدة لأثر أدبي واحد .فالسواد الأعظم من الأعمال الأدبية قد حظيت بترجمتين على الأقل منها Les Echelles du Levant للكاتب اللبناني أمين معلوف التي ترجمت إلى اللغة العربية مرتين من قبل كل من نهلة بيضون ومنيرة مصطفى.

وبهذا الصدد يرى هايدغر أن "كل ترجم في حد ذاتها تأويل" وهي تحمل في كينونتها أسس التأويل وانفتاحه ومستوياته الموجودة في الأصل والمجبرة على الصمت ،وبدوره فإن التاويل هو إنجاز الترجمة التي مازالت صامتة ،ووفق ماهيتهما فإن التأويل والترجمة همتا شيئا واحدا" (أنطوان بيرمان،2010 ،36).

ونستنتج إذن أن هايدغر يعتبر الترجمة والتأويل أمر واحد نظرا لكون الويل جزء لا يتجزأ من العملية الترجمية. وصحة الترجمة من عدمه يقوم على نوعية التأويل الذي قام به المترجم. ولكننا نرى أنه قد بالغ في اعتباره الترجمة تأويلا بحتا لأن التأويل ماهو إلا مرحلة من مراحل الترجمة ولكننا لا نغفل دوره الأساسي والمحوري في العملية الترجمية، لاسيما وأن المترجم باعتباره وسيطا ثقافيا يحمل على عاتقه مسؤولية الفهم من أجل الإفهام الجيد للقارئ الهدف، لأن المترجم ماهو

إلا متلق أو قارئ من الدرجة الأولى كما سلف الإشارة إليه.

2. نظرية التلقي: أصولها وأسسها

تعود جذورنظرية التلقي إلى النصف الثاني من القرن العشرين(1960) حيث ظهرت على يد الألمانيين هانس روبرت ياوس Hans- Robert Jauss وولفجانجإيزرWolfgang Iser . ويعد كتاب ياوس الموسوم « L'histoire de la littérature : Un défi de la théorie littéraire » والذي ترجم إلى العربية على النحو التالي "نحو جمالية التلقي :تاريخ الأدب تحد لتاريخ الأدب" (2014) من أهم الكتب التي تناول فيها ياوس مفهوم التلقي في الأدب،مع الوقوف على عدة مفاهيم إجرائية متعلقة بنظرية التلقي التي تمثل نقطة محورية وجوهرية في تاريخ نظرية الأدب ، نظرا لكونها تسلط الضوء على المتلقي أو القارئ عكس النظريات السابقة التي كانت تركز إما على الكاتب أو على النص والتي كانت تفسر النص اعتمادا على العناصر الداخلية للنص أو الخارجية منها مثل البيئة المحيطة بالكاتب أو العوامل السياسية والإجتماعية التي يعيش في كنفها والتي كانت تؤدي دورا رئيسا في عملية فهم النصوص الأدبية منها خصوصا ، وبذلك اعتبرت نظرية ياوس قطيعة مع المناهج النسقية (تهتم بدراسة أسلوب الكاتب والنسق اللغوي الداخلي) والسياقية التي أغفلت دور المتلقي.

ولقد كان ميلاد نظرية التلقي من جامعة كونستنس الألمانية، حيث ألقى ياوس محاضرة بعنوان "تاريخ الأدب،تحد لنظرية الأدب " (2014: 7) أعلن فيها عن ضرورة الاهتمام بالمتلقي وانتقد النظريات السابقة التي أغفلته، بل ذهب لأبعد من ذلك، حيث يرى أن قيمة الأثر الأدبي ومكانته تتحددان من خلال الوقع الذي ينتجه في نفس القارئ، (وهو الأمر الذي يطالب نايدا بتقصيه عند الترجمة) وكذا من خلال تفاعله التاريخي مع قرائه المتعاقبين، وهذا التفاعل يبرز ثراء الأثر الأدبي وتعدد تأويلاته.

مفاد هذا أن النص الأدبي يفتح الباب أمام تعدد التأويلات وذلك نظرا لعدم اكتفاء القارئ بالمعنى الظاهر للكلمات والألفاظ لأنها في الغالب ليست المعاني التي يصبو إليها الكاتب، بل يتعين على القارئ الغوّص في أغوار الألفاظ واكتشاف المضمر منه.وتعد هذه الميزة من أهم ما يميز النصوص الأدبية لكونها ترد في حلة فنية تجتمع في رحابها الصور البيانية المختلفة والجماليات الأسلوبية المتشعبة. كما أنه لايفوتنا الإشارة إلى أن بعض الأدباء يتعمدون كون أدبهم يعج بالتعابير المضمرة والتي تحمل القارئ على بذل الجهد وإعمال الفكر من أجل التمكن من فهم ما يقصده في نصه ومثل ذلك الكاتب العربي عباس محمود العقاد المعروف بجملته الشهيرة "لا أحب أن أكون مروحة للكسالى النائمين" إشارة منه إلى القراء الكسالى الذين يميلون إلى السهولة والليونة ويتسرعون في القراءة واتخاذ الأحكام.

وترى نظرية التلقي التي أتى بها ياوس أن " القارئ في المقام الأول هو المستهدف من قبل الأثر الأدبي .لأن الناقد الناجح الذي يحاكم مؤلفا حديثا والكاتب الذي يتصور أنه ينتج أثره وفق نموذج سابق إيجابا أو سلبا و مؤرخ الأدب الذي يعيد تحديد موقع أثر ما داخل الزمن..... ويؤولونه تأويلا تاريخيا ،كل هؤلاء يعدون أولا وقبل كل شيء قراء" (المرجع السابق: 55)

فالقارئ أو المتلقي هو المستقبل الأول للعمل الأدبي ولا يمكن للأثر الأدبي أن يكون له وجود إلا بوجود جمهور وقراء، وحتى النقاد الذين يتشدقون بإلغاء دور القارئ في الأدب فهم أنفسهم يعتبرون قراء فلا يمكن لهم أن ينقدوا نصا أو أثرا أدبيا ما لم يعمدوا إلى قراءته وتأويل ما ورد بين سطوره، فهذه أيضا حجة أخرى

يضيفها ياوس ليؤكد أهمية مكانة القارئ في النظريات الأدبية.

من الضروري بمكان، الإشارة إلى أن المنهج الماركسي والشكلي السابقين لنظرية ياوس لا يهتمان بالقارئ، فالمدرسة الشكلانية لا تتحدث عن القارئ إلا بوصفه "ذاتا للأدراك" بمعنى يقتصر دور القارئ عندها على محاولة إيجاد بنية النسق الفني للأثر الأدبي، وبذلك يتأمل القارئ جماليات الأثر الأدبي استنادا إلى إدراكه وإلمامه بأنساق الفن (ياوس، 2014: 56).

ونظرية التلقي لم تولد من العدم، فهي تشكل عصارة تطور العديد من المناهج التي نذكر من بينها (روبرت هولب، تر. عز الدين اسماعيل: 12) الشكلانية الروسية، وبنيوية براغ، وظواهرية رومان إنجاردنRoman Ingarden (في كتابه *The LiteraryWork of Art*) وهرمينوطيقا هانز – جورج جادامر، وسوسيولوجيا الأدب، إذ أسهمت هذه المناهج في ظهور الإرهاصات الأولى لنظرية التلقي ومهدت الطريق لبروزها، فجلها انصب اهتمامها على العلاقة بين النص والمتلقي مع إبراز دور الأخير في ملئ الفجوات التي قد تتخلل النص الأدبي، وتعتبر مدرسة براغ النص بنية متسقة ذات خلفية تاريخية، ولقد كان للمنهج الهرمينوطيقي أثرا كبيرا في نشأة نظرية التلقي وتطورها، إذ استقت منه مفهوم "أفق الفهم" (المرجع نفسه، 13)، حيث تبنى ياوس مفهوم الأفق (Horizon) هذا تحت تسمية "أفق التوقعات" (Horizon of expectations) الذي بات يمثل العمود الفقري لنموذجه.

وفضلا عن ذلك، تأثر إيزر بظواهرية إنجاردن من خلال مفهوم "الإبهام" (Indeterminacy)(in ZHOU, 2013 : 20) الذي يوحي بأن الأعمال الأدبية تكتنفها فراغات وتحمل في ثناياها معاني ضمنية يتعين على القارئ الكشف عنها، ولقد قام إيزر بإدراج هذا المفهوم ضمن جمالية التلقي، ويقول في هذا الصدد (المرجع السابق، الصفحة السابقة):

« *…every literary text invites some form of participation on the part of the reader. And soit can be said that indeterminacy is the fundamental precondition for readers' participation…the indeterminate element of literature represents the most important link between text and reader* » (ZHOU, 2013 : 20)

"...كل نص أدبي يستدعي مشاركة القارئ، وبالتالي، يمكن القول أن الإبهام يمثل شرطا مسبقا أساسيا لمشاركة القراء...فالعنصر المبهم للأدب يمثل أهم حلقات الارتباط بين النص والقارئ"

والتورية والإضمار وتعدد المعاني والتأويلات من أبرز السمات التي تتميز بها النصوص الأدبية بالإضافة إلى هيمنة الوظيفة التعبيرية فيها، فهي تفتح المجال لتأويلات عدة، مما يولّد لدى القارئ رغبة جامحة في الغوص في أعماق هذه النصوص لمعرفة المعاني التي توحي بها، كما تحرك خياله وتثير إبداعيته.

في نظر رشيد لولو (2011: 4)، تستند نظرية التلقي إلى ثلاثة أسس وهي كالاتي:

أولا- القارئ: يؤدي القارئ دورا فعالا في تلقي النصوص وتأويلها، وعُنيت النظرية هنا باستجابة القارئ للنص الأدبي وكيفية تأثره به.

ثانيا - بناء المعنى: كما سبقت الإشارة، قد يعمد المؤلف الإضمار والتضمين وترك بعض الفجوات حتى يملأها القارئ ويبث فيها الحياة من جديد.

ثالثا- أفق التوقعات: ويتمثل في التوقعات التي يخمنها أو يبلورها القارئ قبل مباشرة القراءة أو أثناءها،

وتتجلى أساسا في معارفه وتجاربه السابقة وخلفيته الثقافية ومواقفه تجاه تجارب معينة وتصوراته وما إلى ذلك.

بناءً على ما تقدم، ثمة علاقة تأثير وتأثر بين أفق توقعات المتلقي والنص، بحيث يفهم القارئ النص استنادا إلى أفقه، وقد يغير هذا الأفق بقراءة النص وبذلك يتأثر به ويستجيب له.

لقد تناول ياوس مفهومين رئيسيين في نظريته لا يتسنى للقارئ فهم نظرية التلقي ما لم يقف وقفة متأمل لها سنذكرهما بالتفصيل فيما يأتي:

1.2 أفق الانتظار Horizon d'attente

يعد أفق الانتظار من أبرز المبادئ التي تستند إليها نظرية التلقي، حيث يرى دعاتها أن المتلقي يعتمد هذا المعيار عند تقييمه وتأويله لعمل أدبي معين في فترة زمنية معينة، وذلك بناءً على معارفه المسبقة وتجاربه وخلفيته.

وعليه، يُقصد بأفق الانتظار مجمل الخلفيات الثقافية والأدبية التي تغذى بها القارئ والتي يقوم بمفادها بالتنبؤ بما ستؤول إليه أحداث الأثر الأدبي ، إذ يقول ياوس (in BENZID Aziza, 1950 : 54) في هذا الصدد ما يأتي:

« *[Un] système de référence objectivementformulable qui pour chaque œuvre au moment del'histoire où elle apparaît, résulte de trois facteursprincipaux : l'expérience préalable que le public a dugenre dont elle relève , la forme et la thématique d'œuvresantérieures dont elle présuppose laconnaissance, et l'opposition entre langage poétique etlangage pratique, monde imaginaire et réalitéquotidienne* »

نستشف من خلال هذا القول أن المتلقي يتمتع بنظام من المرجعيات التي يحتكم إليها عند تلقي نص أدبي معين واستنادا إليها يقوم بفهم النص وتأويله، فضلا عن ذلك، فقد حدد ياوس ثلاثة عوامل أساسية يتم بموجبها تحديد أفق التوقع أو أفق الانتظار وهي:

- خبرة الجمهور بالمعايير المميزة للجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الأثر الأدبي المقروء.
- شكل وفحوى الآثار الأدبية السابقة التي يفترض معرفتها.
- التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية للغة، وبين اللغة الخيالية ولغة الاستعمال اليومي (لأن اللغة الأدبية تتميز بكثرة لجوئها إلى الأسلوب الخيالي والجماليات الفنية عكس اللغة العادية واليومية التي تكاد تخلو من الجماليات)

غير أن فهم الأثر الأدبي من قبل المتلقي يستند إلى واقعه ومستواه وخلفيته الثقافية والعقائدية وغير ذلك وهو الأمر الذي يجزم ثلة من منظري الترجمة على تأثيره على نوعية الترجمة وجودتها لأن المترجم يفهم النص الأدبي الذي يراد ترجمتها، فضلا عن ذلك، ليس القارئ كائنا بمعزل عن كل ما يجول في محيطه وبيئته.

ويقول ياوس (2014: 65):"أن الأثر الأدبي لا يقدم نفسه حتى في اللحظة التي ظهر فيها باعتباره جديدا جدة مطلقة منبثقة من فراغ من الأخبار" وانطلاقا من مجموعة من الإعلانات والاشارات الظاهرة والخفية يكون جمهوره مستعدا لنمط معين من التلقي فهو يثير أمورا سبق وأن قرئت و يضع القارئ في هذا لموقف الانفعالي أو ذاك ويلق منذ بدايته نوعا من التوقع لما سيأتي في وسط الحكاية ونهايتها (حسب أرسطو)"

مما يعني أن الأثر الأدبي أيا كان نوعه لا يأتي من العدم بل يكون متأثرا بنص أدبي آخر, وبالتالي فالشكل الذي يقدم به للقراء يكون مألوفا ولو بدرجة قليلة أو عبر إشارات ضمنية من شأنها أن توجه القارئ إلى الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه مما يجعله يتمتع بصورة مسبقة عنه.

2.2 العدول الجمالي (الانزياح الجمالي): l'Ecart esthétique

يعد مصطلح العدول الجمالي من المصطلحات المفتاحة لنظرية التلقي عند ياوس حيث يرى أنه هو "المسافة الفاصلة بين أفق التوقع السائد والأثر الأدبي الجديد الذي يمكن لتلقيه أن يؤدي لتغيير في الأفق سواء ذهب إلى معرضة التجارب المألوفة أو إلى جعل تجارب أخرى غير مسبوقة تشق طريقها نحو الوعي " .(المرجع نفسه،ص 70)

مفاد هذه المقولة أن العدول الجمالي هو عبارة عن وجود اختلاف بين أفق انتظار القارئ أي التكملة التي يفترضها القارئ لإحداث الأثر الأدبي سواء في بدايته أو في ذروته أو في الانفراج أي الحل النهائي لحبكة الرواية مثلا مع أفق توقع أو انتظار الكاتب أي ما ستؤول إليه الأحداث حسب ما خطط له الكاتب عينه.

وحلي بنا أن لا نغفل ذكر أن ياوس يعتقد أن القيمة الجمالية للأثر الأدبي تتجلى في بعد المسافة بين الأفقين أي أفق النص وأفق القارئ، كما أن الأثر الأدبي يأتي أحيانا موافقا لتوقع القارئ كما يمكن أن يكون معارضا أو مخيبا لتوقعاته.

زد على ذلك، تزداد قيمة الأثر الأدبي الجمالية كلما اتسعت الهوة بين أفق النص وأفق توقعات القارئ، بمعنى كلما خيبت توقعات القارئ ازداد العمل الأدبي أهمية وإثارة للاهتمام، وكلما تقلصت الفجوة بينهما اقترب الأثر الأدبي من الرتابة واقتحم مجال " **الوصفات الجاهزة**".

ولقد تم استنباط مفهوم أفق التوقعات من الظواهرتيةphenomenology والمنهج الهرمينوطيقي، ويوحي بأنه قبل مباشرة قراءة العمل الأدبي أو أثناء هذه العملية، يستحضر القارئ تجاربه السابقة وتوقعاته، وتستثير هذه القراءة تجارب سابقة معينة وتحدث بالتالي لديه تأثيرا عاطفيا معينا.

ولا ريب في أن نظرية التلقي أسهمت في تطور الدراسات الترجمية، فهي حولت اهتمام منظري الترجمة من النص المترجم والترجمة إلى المترجم وذاتيته واستراتيجياته الترجمية، وعُنيت بالتفاعل القائم بين النص المترجم والمترجم ومتلقي الترجمة، وهذا ما سنبرزه فيما يأتي.

3. نظرية التلقي والترجمة الأدبية

كما سبقت الإشارة، لجمالية النص الادبي صلة وطيدة بقيم القارئ وتوقعاته، فقد تستحضر لديه قراءاته السابقة، وبمجرد قراءة عمل أدبي معين، تتبلور لديه توقعات معينة، وقد يحتوي النص على معلومات غير مستجدة يدركها القارئ من خلال معارفه وتجاربه السابقة، كما قد يعرض معلومات جديدة وثقافة مختلفة، مما من شأنه أن يغير توقعات المتلقي ومن ثم يعيد بناء أفق توقعاته، ف"أفق التوقعات" الذي أتى به ياوس هو الذي يمكن القارئ من تقييم عمل أدبي معين والحكم عليه.

ويقول ZHU(2013: 24) في حديثه عن الفجوات والفراغات التي تعتري النصوص الأدبية ما يلي:

« *Literary translation, to some extent, is not only the satisfaction in the transmission of meanings, but the*

reproduction of the blanks and indeterminacy in tasting the aesthetic value of the source text »

"والترجمة الأدبية لا تقتصر على نقل المعاني إلى حد ما، وإنما تقوم على إعادة إنتاج الفراغات والفجوات في التلذذ بالقيمة الجمالية للنص الأصل" (ترجمتنا)

فرفع النقاب عن المعاني الضمنية التي تحملها الصور البلاغية والاكتفاء بنقل المعنى من شأنه أن يفقد النص جماليته الفنية، وبالتالي لا بد من نقل المعنى المراد باستعمال أساليب لغوية واسلوبية مختلفة ومن شأنها أن تؤدي الأثر نفسه، إذ يقول نايدوتايبر(12 : 1969):

‘‘*Translating consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source-language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style*.’’

"تتمثل الترجمة في إعادة إنتاج المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة اللغة المنقول منها في اللغة المستقبلة، أولا من حيث المعنى وثانيا من حيث الأسلوب"(ترجمتنا)

وعليه، لا يمكن لترجمة النص الأدبي أن تحدث أثرا وتمكن القارئ من التلذذ بجماليته والاستمتاع بها إذا اكتفى بإعادة صياغة مختلف الصور البلاغية التي تتخلله، لاسيما أن هذه الصور توحي بمعاني مجازية إيحائية وتجسد الوظيفة التعبيرية للنص المترجم.

وبناء على ما سبق، يرى زهو (2013 :20) أن ترجمة الأعمال الأدبية يجب ألا تكون إعادة صياغة لها، لأن ذلك من شأنه أن يقوّض ذلك التوازن الذي أحدثه المؤلف بين المعاني الإيحائية والمعاني الصريحة الظاهرة، فهو يعمد إلى التصريح بفكرة معينة ويضمر أخرى بغية تحريك خيال المتلقي، وعلى المترجم أن يسعى جاهدا إلى استرجاع هذه السمة، إذ ذهب كل من إسرائيل ولودرير إلى القول بأن :

« *La tâche du traducteur consistant moins à substituer ou reproduire qu’à recréer, à trouver un nouvel équilibre du rapport implicite/explicite afin de rendre le même sens que l’original mais sous une forme différente*. » (ISRAEL & LEDERER, 2005 : 70)

"تكون مهمة المترجم في الاستبدال أو إعادة الانتاج أقل من مهمته في الإبداع و في إيجاد توازن جديد للعلاقة بين المضمر و الظاهر قصد إيراد المعنى نفسه الذي يحمله النص الأصلي لكن بصورة مختلفة"(ترجمتنا)

فمهمة المترجم تتمثل في السعي إلى تأليف نص جديد، مماثل للنص الأصلي في جوهره ومكافئ له في معناه وأثره.

وللتمتع بجمالية العمل الأدبي الأصلي، لا بد من تغيير أفق توقعات متلقي الترجمة وتقريبها من توقعات النص الأصل، الأمر الذي يفضي إلى تأويلات مختلفة للنص الأصلي، وهذا ما يفسر سبب اختلاف القراء في طريقة تأويل عمل أدبي معين. وقراءة نص معين قد تسهم في تغيير توقعات المتلقي، لذا غاليا ما تتناول النصوص الأدبية قضايا سياسية واجتماعية وتنقل قيما إنسانية بطريقة ضمنية، الأمر الذي من شأنه أن يؤثر في القارئ ويولّد استجابة معينة من لدنه.

وتلتقي نظرية التلقي مع نظرية التكافؤ الدينامي لنايدا(NIDA & TABER, 1969) في عدة نقاط أهمها مفهوم الاستجابة التي تتمثل في نظر نايد (المرجع السابقة: 206) في ما يأتي:

« *the sum of the reactions of a receptor to a message in terms of understanding (or lack of it), emotional attitude, decision and action* »

"مجمل ردود أفعال متلقٍ إزاء رسالة معينة من حيث الفهم (أو عدمه)، والموقف العاطفي والقرار والتصرف"(ترجمتنا)

وعليه، لم يعد تقييم الترجمات يقوم على المقارنة بين النص الأصل وترجمته، وإنما يعتمد على المقارنة بين استجابة المتلقي للنص الأصل واستجابة متلقي الترجمة لها، ويتم ذلك استنادا إلى مدى فهمه للأفكار التي يعبر عنها وتأثره بالقيم والمشاعر التي ينقلها، وهذا ما يعرف بـ "الاستجابة المماثلة" (Equivalent response) الذي ناد به كل من نايداوتايبر (المرجع نفسه).

ولتحقيق التكافؤ في الاستجابة، لا بد من إجراء تغييرات وتعديلات على المستويين التركيبي والأسلوبي بما يتماشى وسمات اللغة المنقول إليها حتى تكون الترجمة سليمة وسلسة من حيث التعبير ولتحقيق ما يعرف بطبيعية التعبير (Naturalness of expression)، كما يتعين على المترجم نقل وظيفتي النص المرجعية والتعبيرية لإحداث التأثير المماثل، غير أنه قد يتعذر تحقيق تكافؤ مطلق بين استجابة متلقي النص الأصل واستجابة متلقي الترجمة نظرا لاختلاف الخلفيات الثقافية والتاريخية، لذا تبقى تلك الاستجابة تقريبية.

وفضلا عما تقدم، يرى زهو أنه ليست هناك ترجمة جيدة أو سيئة نظرا لاختلاف أفق التوقعات من مترجم إلى آخر واختلاف طريقة قراءتهم للنص الأصلي وإدراكهم لمعانيه الضمنية، وبالتالي اختلاف طرائق ملأ تلك الفجوات والفراغات، الأمر الذي يفسر وجود عدة ترجمات للنص الأدبي نفسه، ففي نظره، ذلك يدفع بدوره متلقي إلى استعمال مخيلته وتنمية حسه الإبداعي في ملأ تلك الفجوات، مما يولّد تفاعلا بين النص المترجم والمترجم وبين الترجمة ومتلقيها وهذا ما يعرف ب " امتزاج التوقعات" «Fusion of Horizon »(Hangmei Yang and Suling Qi, 2017 : 117)

غير أنه لا بد من الإشارة إلى أنه قد يتعذر على متلقي الترجمة إدراك المعنى المراد نظرا لعدم توفره على المعارف نفسها التي يملكها متلقي النص الأصلي، كما أنه قد يصعب عليه الإحساس بتلك القيمة الجمالية، كون اللغات تستعمل وسائل أسلوبية ومعجمية مختلفة للتعبير عن أفكار ومشاعر معينة.

وفضلا عن ذلك، من شأن تشجيع تعدد التأويلات أن يدفع المترجم إلى إقحام ذاتيته أثناء الترجمة، لذا عليه أن يسعى إلى نقل المعنى المراد وليس إبراز نية المؤلف أو مواقفه تجاه الأمور المشار إليها، وتقول ماريان لودرير Mariane LEDERERوفورتوناتو اسرائيل Fortunato ISRAEL(2005) في هذا السياق ما يأتي:

"Pour le traducteur, interpréter, c'est comprendre objectivement le vouloir-dire de l'auteur à travers le dit du texte."(LEDERER & ISRAEL, 2005 : 122)

"بالنسبة للمترجم، التأويل هو فهم مُراد المؤلف موضوعيا انطلاقا مما هو مُصرّح به في النص." (ترجمتنا)

فالتأويل لا يقصد به تفسير النص وفق ميولات المتلقي وهواه، كما أنه لا يقتضي الكشف عن المعاني المضمرة، إذ لا بد من دفع المتلقي إلى بذل جهد تأويلي

كذلك، فإبقاء هذه السمة، يتم الحفاظ على الصبغة الجمالية للنص وأسلوبيته، كما أن ذلك من شأنه أن يعرض على المتلقي ثقافة جديدة ويسهم بذلك في تغيير أفق توقعاته.

وفي السياق ذاته نجد بول ريكور (2008 :31) يحاول إمساك العصا من الوسط من خلال اقتراح حل وسطي وتحديد منطقي وعقلاني للعلاقة بين التأويل والترجمة وهذا ما يبدو لنا من خلال قوله " هناك مدخلان يؤديان إلى المشكل المطروح من طرف فعل الترجمة ،أن تأخذ كلمة "ترجمة بالمعنى الدقيق الذي يعني نقل رسالة لسانية من لغة إلى أخرى أو نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل الجماعة اللغوية "

الأمر الذي يعني أن الترجمة والتأويل ليسا وجهان لعملة واحدة كما يعتقد البعض بل هذا الإعتقاد فيه نوع من الغلو والمغالطة في تحديد المفاهيم، والأصح عند ريكور هو الفصل بينهما، لكونها مختلفان، مع التأكيد على تداخلهما ووجود روابط مشتركة بينهما كما أن الترجمة ليست مجرد عملية لغوية يقوم بموجبها المترجم بالبحث عن المقابلات اللفظية ورصف بعضها بجانب بعض بل هي عملية فكرية وثقافية.

4. خاتمة

يتبن مما سبق أن نظرية التلقي أولت اهتماما بالغا للقارئ الذي لطالما تجاهلته المناهج الكلاسيكية في تحليل النصوص الأدبية، فقد سلطت الضوء على الدور الفعال الذي يؤديه في العملية التأويلية، ذلك أن تأويل النص الأدبي يشكل مرحلة أولى في مسار بلوغ قيمته الجمالية.

وفي نظر دعاة منهج جمالية التلقي، ثمة عدة عوامل تتدخل في العملية التأويلية للأعمال الأدبية كالمخزون المعرفي للمتلقي وتجاربه الشخصية وخلفيته الثقافية، ويتشكل معنى النص الأدبي، في نظرهم، من خلال تفاعل المعلومات التي يمنحها بالافتراضات المسبقة للمتلقي، الأمر الذي يجسد القيمة الجمالية للنص واللذة الفنية التي يثيرها لدى المتلقي، غير أن ذلك قمين بدفع المترجم، الذي يعد متلقيا أولا للنص المترجم، إلى الانصياع لميولاته وذاتيته أثناء عملية تأويل النص وترجمته، لاسيما أن النصوص الأدبية هي نصوص تخاطب العاطفة والحس الجمالي وتفتح المجال لقراءات وتأويلات عدة، لذا بات لزاما عليه أن يتقيد بالموضوعية والحيادية في نقل قصدية الكاتب بما يتماشى والسمات اللغوية والأعراف الأسلوبية للغة المنقول إليها.

5. المراجع والمصادر:

أنطوان بيرمان (2010)،الترجمة والحرفأو مقام البعد ،تر.عز الدين الخطابي ،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت،ط1.

إيكو، أمبيرتو (2009) . التأويل والتأويل المفرط، تر. ناصر الحلواني، سوريا: مركز الإنماء الحضاري.

بول ريكور (2008)،عن الترجمة ،تر. حسن خمري، الإختلاف والدار العربية للعلوم، ط1 .

رشيد لولو، ذ (2011). في القراءة ونظرية التلقي. (PDF)في القراءة ونظرية التلقي Rachid | Loulou - Academia.edu

روبرت هولب (2000). نظرية التلقي، تر. عز الدين إسماعيل، القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

هانس روبرت ياوس(2014)، نحو جمالية التلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، تر. محمد مساعدي، دمشق: سوريا.

BENZID, Aziza (2014),Pour *une approche épistémologique des théorie deréception* in مجلة كلية الأداب

واللغات ،جانفي ،جوان. جامعة محمد خيضر بسكرة ،ص -123-140

DINH HONG VAN (2010) in Synergies *Pays riverains du Mékong* n° 1 - pp. 141-171

HONGMEI Yang and SULING Qi (2017). *Translators' Subjectivity in Literary Translation: From the Perspective of Reader-Reception Theory*, Advances in Social Science, Education and Humanities Research (ASSEHR), volume 117 2017 International Conference on Social Science (ICoSS 2017).

ISRAEL. F et LEDERER. M (2005*). La théorie interprétative de la traduction, genèse et développement*, Paris : Lettres Modernes Minard.

(2005). *La théorie interprétative de la traduction, de la formation à la pratique professionnelle*, Lettres Modernes Minard, Paris

KHERROUB M, O. (2019). *Les Faces de la Trahison dans le ProcessusTraductionnel*. Revue Traduction et Langues ,V18(N°1).

LEDERER, Mariane (2006). *La traduction aujourd'hui, le modèle interprétatif*, France : Lettres Modernes Minard.

NIDA, Eugene & TABER Charles (1969). *The Theory and Practice of Translation*. Boston : Brill.

STEINER, George (1978). *Apres Babel : Une poétique du Dire et de la traduction*, trad. Lautringer L ; Albin Michel ,Paris.

ZHOU Wangyue (20013), *Literary Translation From Perspective of Reception Theory : The Case Study of Three Versions of Na Han*, in Studies in Literature and Language,vol 7, N°2, pp19-25.